المجلة العراقية للهندسة المعمارية
IRAQI ARCHITECTURAL JOURNAL

البحوث العلمية

مورفولوجية مدينة القدس والستراتيجيات الأسرائيلية لتهويد المدينة

د. مؤمل علاء الدين إبراهيم
أستاذ مساعد

الخلاصة:

عملت الدولة اليهودية بسرعة وفاعلية من أجل طمس ونفي الماضي العربي و الإسلامي لمدينة القدس وأعطائها طابعاً يهودياً ضمن مخططات ستراتيجية على المستوى الأقليمي والقدس الكبرى ومدينة القدس القديمة. ولم يضع العرب أي مخطط لمواجهة المخطط الصهيوني و أغلب الدراسات والبحوث العربية التي عالجت الموضوع كانت تاريخية وصفية إتسمت بالأنتقائية.

يتناول هذا البحث الأصول التخطيطية والمرجعيات العمرانية لمدينة القدس ومقارنتها مع مدن عربية إسلامية أخرى بغية دحض الأدعاءات الصهيونية بمرجعية وأصول المدينة المقدسة أذ كشفت الدراسة وجود توافق واضح في الخصائص المرفولوجية بين المدن العربية الأسلامية ومدينة القدس.

تناولت الدراسة الآثار السلبية الناجمة عن سياسة التهويد لمدينة القدس القديمة أذ بينت الدراسة أن بنية مدينة القدس هي كيان كلي تتكون من أرتباط أجزائها ضمن نظام هيكلي شمولي، فالقواعد الموضعية وخصائص تكوين الفضاء الموضعي بأرتباطاته يكون النظام الشمولي. فأي عزل لأي منطقة موضعية سوف يؤثر على النظام الشمولي، وهذا ما بينته الدراسات.

تؤثر سياسة التهويد على الهيكل الشمولي وتضعف نويات التكامل للهيكل الفضائي مما يؤدي الى تداخلها مع نويات العزل، الأمر الذي يفقد النسيج خصائصه التركيبية، ويدفع نواة الخيار القوية بعيداً عن الحرم لتنتشر على النظلم الفضائي على شكل نويات خيار ضعيفة. وهكذا نواة السيطرة الموضعية القوية سوف تتدنى قدرتها على سحب السلوك الى المناطق المحيطة بالحرم الشريف.

وقد يكون هذا له أهداف أمنية ترتبط بسيطرة النظام الصهيوني على المدينة المقدسة بجعل المناطق العميقة بالنظام الفضائي أكثر أنفتاحاً وبالتالي أسهل للسيطرة الأمنية. مع أن نسبة المساحة المتأثرة في التغير قد لا تتجاوز (5/1) إلا أن تأثيرها الشمولي على المدينة المقدسة كبير وواضح.

المقدمة:

شكل إحراق المسجد الأقصى المبارك في العام 1969 ومحاولات نسف المسجدين للحرم الشريف والأعتداء عليهما. لبناء الهيكل اليهودي مكانها (1) أبرز النتائج التي ترتبت على السلوك الصهيوني والأكثر إثارة بين الأحداث التي جرت في البلدة القديمة. لم تكن هذه الأحداث بمعزل عن المخطط الصهيوني لتهويد القدس التي وجدت ترجمة لها على أرض الواقع على شكل حفريات اركيولوجية في البلدة القديمة والتي تهدف الى تشكيل أسطورة الوجود اليهودي فى فلسطين وتسويغ المقولات الصهيونية لأستخدامها في تهميش الوجود الفلسطيني، ضمن هذا المنظور عمدت أسرائيل الى هدم حارة المغاربة (2) وشردت أهلها ومدت يدها للعبث بالأبنية المملوكية، بحفرها نفقاً تحتها خلخل عناصرها الأنشائية بشكل خطير أضافة الى مصادرة الأراضي وتهجير السكان وتحجيم مناطق أسكان الفلسطينيين في القدس. وفق مخطط ستراتيجي لمحاصرة القدس بثلاثة أطواق اسرائيلية من الجهات الأربع للمدينة (3).

ضمن برامج زمنية وسياسات تنفيذية وأجراءات تنظيمية. في الوقت الذي لم يضع العرب أي مخطط لمواجهة المخطط الصهيوني لتهويد القدس وأغلب الدراسات والبحوث التي عالجت الموضوع، تناولت الجانب التاريخي وأحقية العرب المسلمين في القدس. وبالرغم من أهمية هذه الدراسات إلا أنها كانت وصفية. تناولت جوانب معينة وأهملت أخرى أتسمت بالأنتقائية ولم تعالج أي دراسة مورفولوجية المدينة المقدسة وخصائصها التركيبية وأصولها المرجعية وبنيتها العميقة.

من هنا جاءت أهمية هذا البحث الذي يهدف الى:

أولا: الكشف عن الأصول التخطيطية والمرجعيات العمرانية لمدينة القدس ومقارنتها بمدن عربية أسلامية أخرى بغية دحض الأدعاءات الصهيونية بمرجعية واصول المدينة المقدسة.

ثانيا: الكشف عن الخصائص الفضائية للنسيج الحضري التقليدي لمدينة القدس وعلاقتها التركيبية ببيت المقدس.

ثالثاً: دراسة أثر مخطط التهويد على خصائص الهيكل الفضائي للنسيج الحضري التقليدي.(شكل رقم 1)

المخطط الصهيوني لتهويد مدينة القدس

تستهدف الخطة الإسرائيلية لتهويد القدس محاصرة المدينة المقدسة وأحكام الطوق على الجزء العربي من القدس الشرقية وبثلاثة مستويات:

المستوى الأول: الأقليمي (أقليم القدس)

المستوى الثاني: الحضري (القدس الكبرى)

المستوى الثالث: المدينة المقدسة (المدينة القديمة)

المستوى الأول (الأقليمي) : تتلخص الخطة الإسرائيلية بنشر منظومة من المستوطنات على محاور أرتباطات مدينة القدس كأقليم مع باقي أرجاء فلسطين لتأمين السيطرة الأمنية والتحكم بمدخلات ومخرجات المدينة الأقتصادية والأجتماعية والسياسية.

المستوى الثاني الحضري (القدس الكبرى): تتلخص سياسة التهويد في القدس الكبرى على ضم المدينة العربية للقدس الغربية ومن ثم توسيعها لمدينة كبيرة تمتد بأتجاه الشرق والشمال والجنوب داخل الضفة الغربية، ببناء مستوطنات يهودية في مناطق أستراتيجية. بهدف خنق إمكانات التوسع الأقليمي العربي في المدينة وقطع الأتصال بين المدينة القديمة وبين القرى والمدن الفلسطينية الواقعة خارج القدس وعلى ثلاثة مراحل: (شكل رقم 2)

المرحلة الأولى: قامت أسرائيل فور أحتلالها للمدينة المقدسة بتنفيذ برنامج واسعة النطاق لبناء عدد من المستوطنات اليهودية في محيط المدينة المقدسة بهدف وصل منطقة الجامعة العبرية بالقدس الغربية وفصل

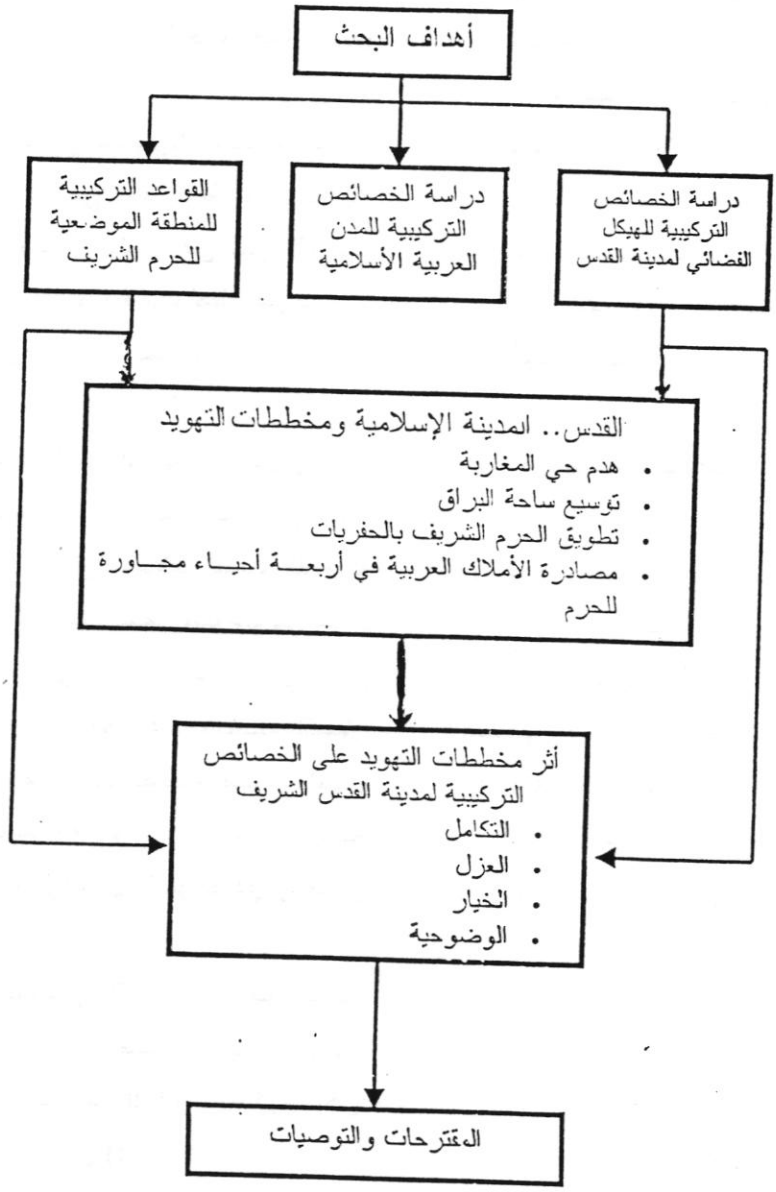

شكل رقم (١)

المنهج المعتمد للبحث

المدينة العربية الشرقية عن محيطها العربي الى الشمال.

في المرحلة الثانية التي أبتدأت في مطلع السبعينات تم بناء أربعة مستوطنات أسرائيلية لإحكام الطوق حول المدينة العربية.

أما المرحلة الثالثة التي أستمرت منذ منتصف الثمانيات أخذت أسرائيل في تعزيز سيطرتها الأقليمية على القدس العربية وأحكام الطوق على الجزء العربي من القدس الشرقية بهدف منع قيام تواصل عمراني بين هذا الجزء وبين القرى والمدن الفلسطينية.

المستوى الثالث (مدينة القدس الشريف): (شكل رقم 3) عملت الدولة الصهيونية بسرعة وفاعلية من أجل طمس ونفي الماضي العربي الأسلامي للمدينة القديمة وأعطائها طابعا يهوديا، وقد أشتمل ذلك على هدم أحياء عربية لتوسيع الحي اليهودي وهدم أبنية ومواقع ذات خصائص معمارية تاريخية هامة وعمد الكيان الصهيوني على بناء معالم عمرانية جديدة داخل وخارج حدود البلدة القديمة تشرف على المواقع الأثرية وتهيمن عليها. بهدف أبراز كل ما هو يهودي وطمس كل ما هو غير ذلك.

قامت أسرائيل بمصادرة أكثر من 700 مبنى في البلدة القديمة وطرد 6 آلاف فلسطين لبناء الحي اليهودي حيث تم بناء أكثر من 550 وحدة سكنية لسكان يهود من خارج مدينة القدس (4)

ويمكن تلخيص السياسات الصهيونية في تهويد القدس بالنقاط التالية:

- أصدار تشريعات تقيد حق الإقامة لأهلها العرب وحرمانهم من حق المشاركة في دارتهم ودفعهم الى الهجرة والتشريد.
- إغتصاب الأرض عن طريق مصادرة الأملاك والمشاعات العربية.
- تكثيف السكن الأسرائيلي في المدينة وتضخيم رقعتها الجغرافية.
- إلغاء دور المدينة المتروبولي للمناطق العربية الفلسطينية وتفكيك أرتباطها العضوي بها.
- إزالة المعالم العربية التاريخية للمدينة عن طريق تشويه الأحياء القديمة وتهويد الرموز المعمارية وإقامة منشآت ومشاريع تتنافى مع بيئتها.
- تشويه الرموز الأسلامية والمسيحية عن طريق إنشاء المستوطنات عليها.
- إنشاء المستوطنات حول المدينة لتأمين الحماية الستراتيجية والعسكرية وتحصين عزلها عن محيطها الحضري.

التنظيم الفضائي للبيئة الحضرية في المدن الأسلامية:

وللتحقق من الهدف الأول ينبغي دراسة المدن الأسلامية والكشف عن خصائصها المرفولوجية ومقارنتها بمدينة القدس الشريف.

أن فهم المدينة يتطلب فهم شكلها المادي وبالأخص الفضائي والذي لا يمكن كشفه إلا بعد فهم القواعد الكامنة في ذلك الشكل (5).

ويمكن حصر الدراسات النظرية التي عالجت ظاهرة المدينة بثلاثة توجهات:

1- السلوكية Behavior

2- الدلالية Semantic

3- التركيبية Syntactic

في هذه الدراسة تم إعتماد الدراسات التركيبية بسبب أن الأولى تتطلب مسوحات ميدانية والثانية فيها شئ من الذاتية تتعلق بالمتلقي.

أما الدراسات التركيبية فبالإضافة الى كونها تعتمد بالأساس على المخططات فأنها تمتلك مصداقية مقبولة لمثل هذا البحث.

تفترض الدراسات التركيبية جملة من المنطلقات من الضروري ذكر بعضها لأهميتها للبحث (6):

1- أن المدينة بنية تتكون من عناصر (وحدات) وعلاقات.

2- المدينة تمتلك خصائص موضعية وخصائص شمولية.

3- العناصر (الوحدات) تمتلك قدرة عالية على التحول تليها العلاقات أما لنظام الشمولي فهو غير قابل للتحول إلا بحدود ضيقة أو بكوارث طبيعية أو تخطيط مفروض.

4- بنية المدينة تمتلك قواعد وقوانين طبيعية كامنة (البنية العميقة) تستند في تكوينها ونشوئها على النظام الفكري والمعرفي للمجتمع والمتمثلة في الدين والقيم والأعراف والتقاليد (Genotype) وهذه القواعد تكون متماثلة مع شبيهاتها في المدن ذات نفس النظام المعرفي لسكانها (6). وهذا أيضاً جداً مهم في دراستنا لمقارنة الخصائص التركيبية لمدينة القدس مع المدن العربية الإسلامية الأخرى.

وللتحقق من الهدف الأول تم إنتخاب مجموعة من المدن العربية والتي تمتلك مسجداً جامع لتحليل خصائصها التركيبية ومعرفة بنيتها العميقة ومقارنتها مع مدينة القدس .

هذه المدن هي: شيبام - اليمن (شكل 4)
طرابلس - ليبيا (شكل 5)
صفاقس - تونس (شكل 6)
الكاظمية - العراق (شكل 7)
القدس - فلسطين (شكل 8)

إعتمد في التحليل على نظرية تركيب الفضاء وبأستثمار المنهج التحليلي لقواعد تركيب الفضاء (Space Syntax) والذي تطلب عمليات تمثيل وترميز على المخططات وكذلك بناء برنامج رياضي خاص على الحاسبة (7).

نتائج تحليل الخصائص التركيبية للمدن العربية المنتخبة:

أظهرت نتائج التحليل توافقاً واضحاً لهذه المدن في الخصائص التركيبية الشمولية لكل من مقاييس درجة التكامل ودرجة الخيار ودرجة الوضوحية.

وكما يلي:

خاصية التكامل Integration

تقاس خاصية التكامل من العمق النسبي للفضاءات، فكلما زادت أرتباطات الفضاء بهيكل الفضاءات الشمولي للمدينة وقلت الخطوات البصرية (أي بمعنى قلت أنحرافات المحور) يكون الفضاء ذو تكامل عالي. وبالعكس فكلما قلت إرتباطات الفضاء بالهيكل الشمولي للمدينة وزادت الخطوات البصرية وتعقد النسيج، زادت خاصية العزل للفضاء وقل تكامله.

بمعنى أن الفضاءات التي تمتلك تكامل عالي هي فضاءات ذات الأستخدام العام مثل الأسواق والفعاليات المختلفة وبزيادة خاصية العزل للفضاءات تكون هذه الفضاءات ذات خصوصية عالية وتستخدم للسكن (8).

ولقد كشفت الدراسة وجود توافق واضح في خاصية التكامل بين المدن العربية المختارة (شيبام، طرابلس، صفاقس والكاظمية، القدس) إضافة الى توافق واضح بين علاقة خاصية التكامل مع خاصية العزل والذي يعبر عن وضوحية النظام الفضائي مما يؤكد أصولها الفكرية والثقافية والأجتماعية الواحدة، والذي يدحض الأدعاءات الصهيونية بحقيقة مرجعية القدس ويعزز فكرة القواعد الكامنة في النظم (Genotype) ومن الجدير بالذكر أن هذه الدراسة قد أثبتت أن الخصائص الشمولية ومنها التكامل هي أكثر (نمط) ثباتا بين المدن العربية من الخصائص الموضعية مثل خاية العزل الموضعي.

(أما الهدف الثاني) فقد أظهرت نتائج دراسة خاصية التكامل في مدينة القدس معدلات عالية. إذ يمتلك الهيكل الشمولي للمدينة القديمة تدرجا واضحا ترتفع فيه معدلات التكامل كلما أقتربنا من الحرم الشريف وبنفس الوقت تقوم خاصية التكامل بتقسيم النسيج الحضري الى خمسة مناطق تمتلك عزلا واضحا وخصوصية عالية.

وهذا يعني كلما زادت خاصية التكامل للفضاء زادت المواجهات بين الأفراد وبالتالي زاد التفاعل الأجتماعي الأيجابي.

وبالرغم من أن هذا التحليل هو تحليل بنيوي/ تركيبي للقدس إلا أنه يتفق مع النظريات الدلالية. فبزيادة التعقيد للنسيج تزداد الصور والدلالات المخزونة في الذهن وتبدو البيئة مألوفة للساكن وفي الوقت نفسه فأن زيادة عدد الأرتباطات والخيارات بالنظام الفضائي تفقد الغريب إتجاهيته بعكس الساكن الذي يحمل مخططات ذهنية واضحة عن القدس فهو لا يعتمد على وضوحية النظام بل على فرص الخيار والنفاذية التي يوفرها له نسيج المدينة. (شكل 9)

خاصية الخيار

ترتبط خاصية الخيار بحركة الساكنين الشمولية ضمن النظام، حيث يسلك السكان أقصر الطرق فيه الى هدف الزيارة وفي هذه الدراسة أختير الحرم الشريف لمعرفة قدرة النظام الفضائي في توفير الخيارات للسكان، وقد أظهرت نتائج هذه الخاصية معدلات عالية تعبر عن درجة عالية من الخيارات الى المسجد.

ويعني ذلك أن فضاءات المنطقة الموضعية للحوم قد أمتلكت سيطرة شمولية عالية وثراء كثيف للسلوك مما يعكس قدرة النظام الفضائي على التوجه الى الحرم الشريف. (شكل 10)

خاصية الوضوحية Intelligibility

ما نعني بالوضوحية هو وضوحية النظام الفضائي. أن دراسة هذه الخاصية لها أهمية خاصة في مدينة القدس (المدينة القديمة) بسبب وجود نوعين من العلاقات الأول مرتبط بسكان المدينة والثاني بزوار الحرم الشريف. فكيف ينظم هذا النسيج هذه العلاقات؟.

خاصية الوضوحية تأتي من توافق خاصية التكامل الشمولي مع خاصية الأتصالية الموضعية وقد سجلت معدلات عالية في منطقة الحرم الشريف بالوقت الذي تدنت معدلاتها في المناطق الأخرى وهذا يعني أن منطقة الحرم الشريف تعكس حضور نوعين من الأفراد الساكنين والزوار، بدون تعقيد في المسارات بتوفير درجة من الوضوحية اللازمة لتعريف المكان موضعيا وشموليا، وبذلك يوازن النسيج الحضري بين حركة الساكنين وزوار الحرم الشريف ومن مقارنة خاصية الوضوحية مع خاصية الخيار يتضح وجود مفصل بين المنفصل والمتصل بين العام والخاص بالمدينة او مجال للعزل بين الفعاليات العامة والخاصة.

وهذا ما موجود في عدد من المدن العربية التي تحوي على مسجد جامع مثل مدينة الكاظمية. الذي تتطلب مقدارا من العزل بين السكان والزوار بسبب معتقداتهم الدينية والأجتماعية المحافظة.(9)

ستراتيجية الأستيطان اليهودي في القدس

عملت الدولة اليهودية بسرعة وفاعلية من أجل طمس التراث العربي والأسلامي للمدينة القديمة وشمل ذلك على هدم أحياء عربية ومواقع ذات طابع معماري تراثي ذي قيمة.

وبهدف تحديد أثر هذه السياسات على مرفولوجية المدينة المقدسة وخصائصها الشمولية التكاملية. فقد تم دراسة المدينة القديمة بضوء ما حدث من تغير في مرفولوجية المنطقة المحيطة ببيت المقدس. (شكل 11)

نتائج التحليل:

- اظهرت النتائج بأن أي تغير في مرفولوجية المنطقة الموضعية المجاورة للحرم، يفقد أرتباط الحرم بالهيكل الشمولي ويضعف الأختلافات الموضعية ويقلل من التفاعل الأجتماعي الأيجابي في المنطقة المحيطة بالحرم.
- أن معدلات التكامل العالية لفضاءات المنطقة الموضعية المجاورة للحرم قد تنخفض وتقل عدد الأرتباطات الموضعية مما يفقد النظام الفضائي إمكانية توجيه الحركة، وتقل فرص المواجهات بين الأفراد.
- أما دراسة خاصية الخيار، فقد ثبت أن السيطرة الشمولية العالية التي يمتلكها الحرم قد تتأثر، مما

يؤدي الى فقدان المنطقة الموضعيـــة المجـــاورة للحرم ثرائها السلوكي.

- لقد بين التحليل أن من أخطـــر المشـــاكل التـــي تواجهها المنطقة المحيطة بـــالحرم هـــو فقـــدان خاصية الوضوحية بالنظام الفضـــائي. إذ ينفقـــد التدرج من العام الى الخـــاص وترتبـــك علاقـــة المنفصل المتصل بين الزوار والساكنين.

المصادر:

1- الدقاق، ابراهيم؛ 1998 تغريب القدس، بـــيروت – نقابة المهندسين.

2- الشقائي، خليل 1999 استراتيجية لعملية الأستيطان اليهودي في القدس وفي أكنافها، بيروت – مؤتمـو القدس الآن.

3- سلام، عاصم 1999 القدس الآن ، المدينة والأنسان بيروت – مؤتمر القدس.

4- سعيد عمام 1999 القدس الهوية والمكانة بيروت – مؤتمر القدس الآن.

5- ابراهيم، د. عبد الباقي: تأصل القيم الحضارية في بناء المدينة الأسلامية المعاصرة، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، مصر 1982.

6- Hillier B: The Social Logic of Space, Cambridge University press 1984.

7- Hillier B: Space syntax AJ, N.30, London 1983.

8- الحنكاوي، وحدة شكر؛ أثر خصائص التنظيـــم الفضـــائي للنســـيج الحضـــري علـــى التفـــاعل الأجتمـــاعي، رســـالة ماجســـتير – الجامعـــــة التكنولوجية – بغداد 1993.

9- أسماعيل، هالة: أثر المسجد الجامع فـــي تنظيـــم الهيكل الفضائي لمدينة الأسلامية التقليدية، رســـالة ماجستير الجامعة التكنولوجية ، بغداد 1996.

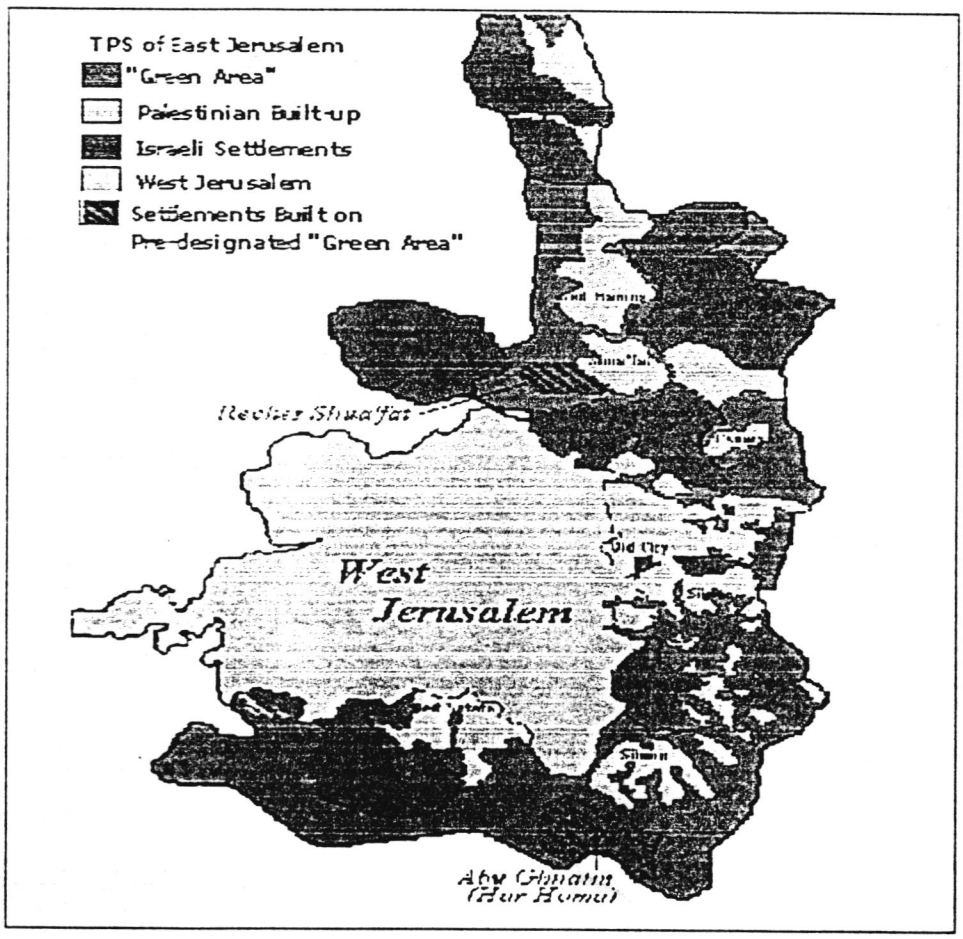

شكل رقم (٢)

المخطط الهيكلي للقدس الشرقية كما عرفته بلدية القدس الإسرائيلية

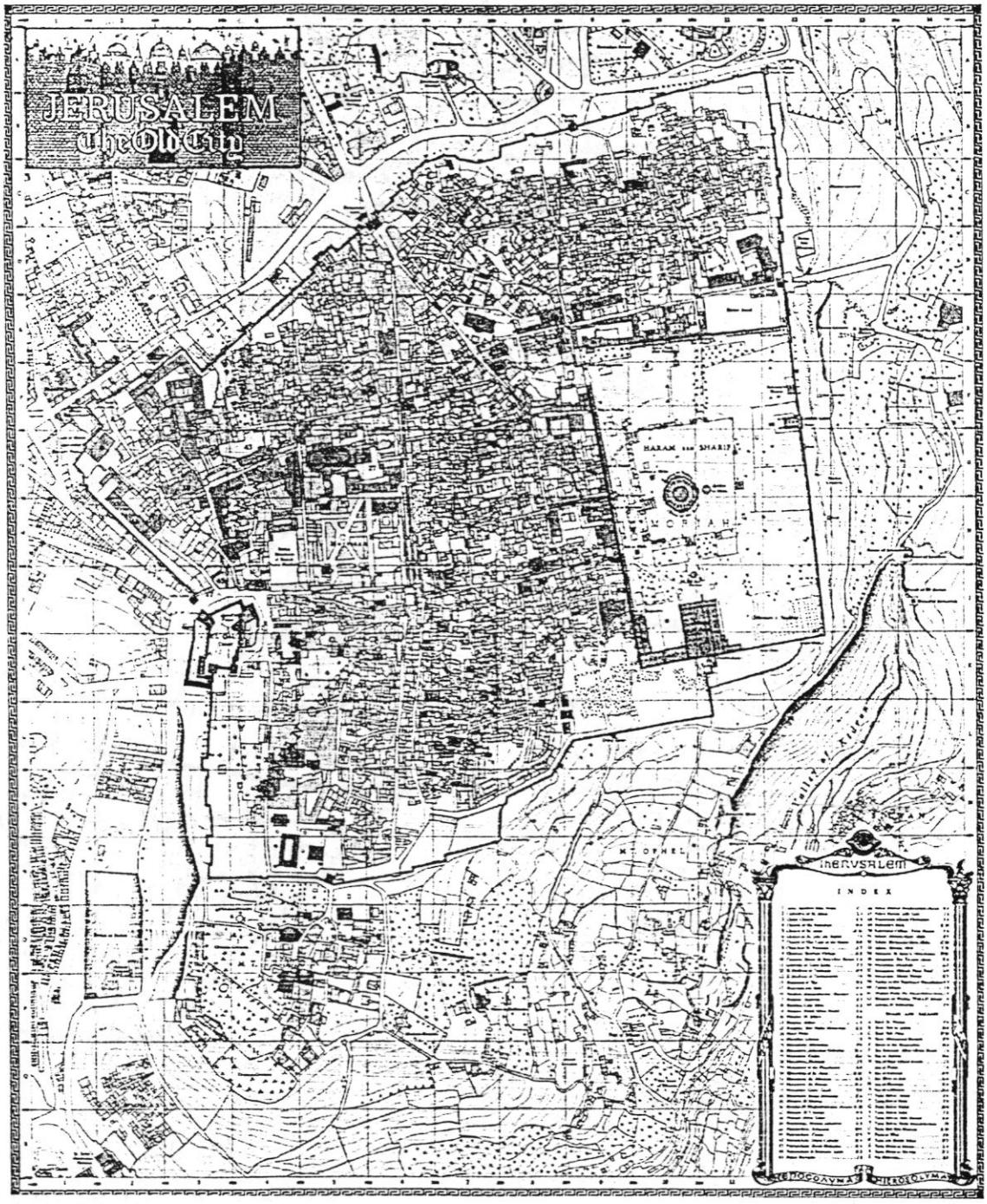

شكل (٣)

القدس- مخطط المدينة القديمة

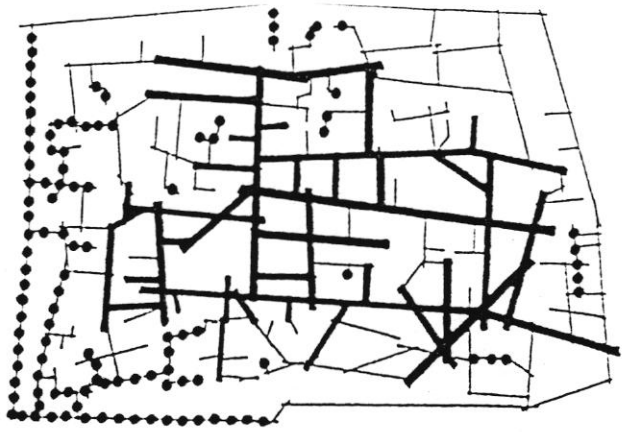

شكل (٤)

نواة التكامل ونواة العزل لمدينة شيبام

شكل (٥)

نواة التكامل ونواة العزل لمدينة طرابلس

شكل (٦)

نواة التكامل ونواة العزل لمدينة صفاقس

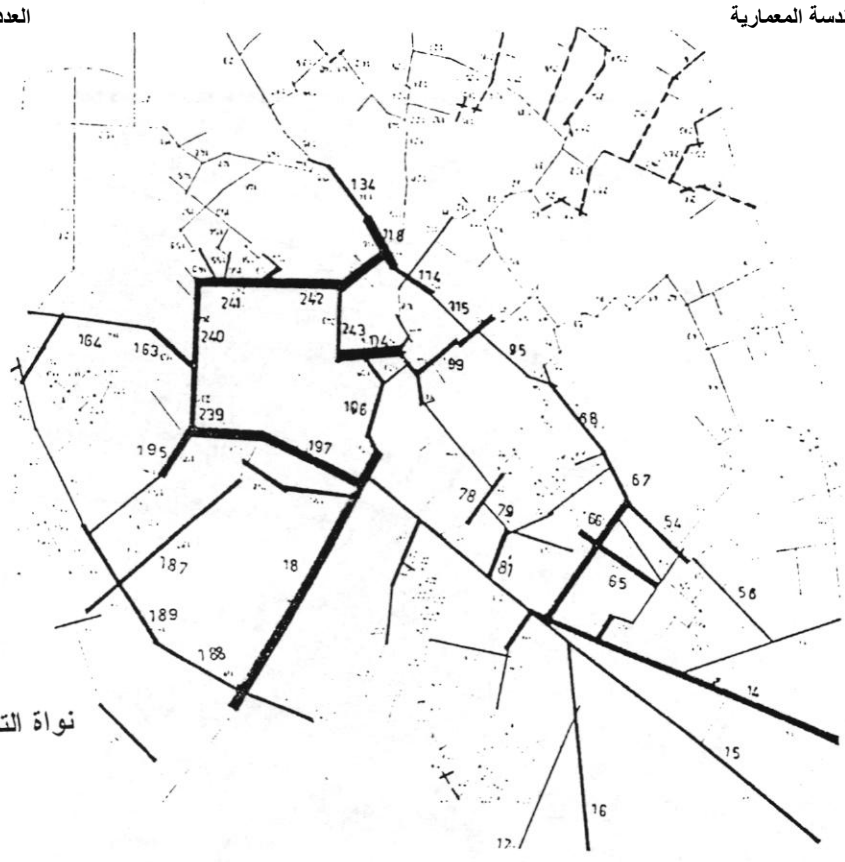

شكل (٧)

نواة التكامل ونواة العزل لمدينة الكاظمية

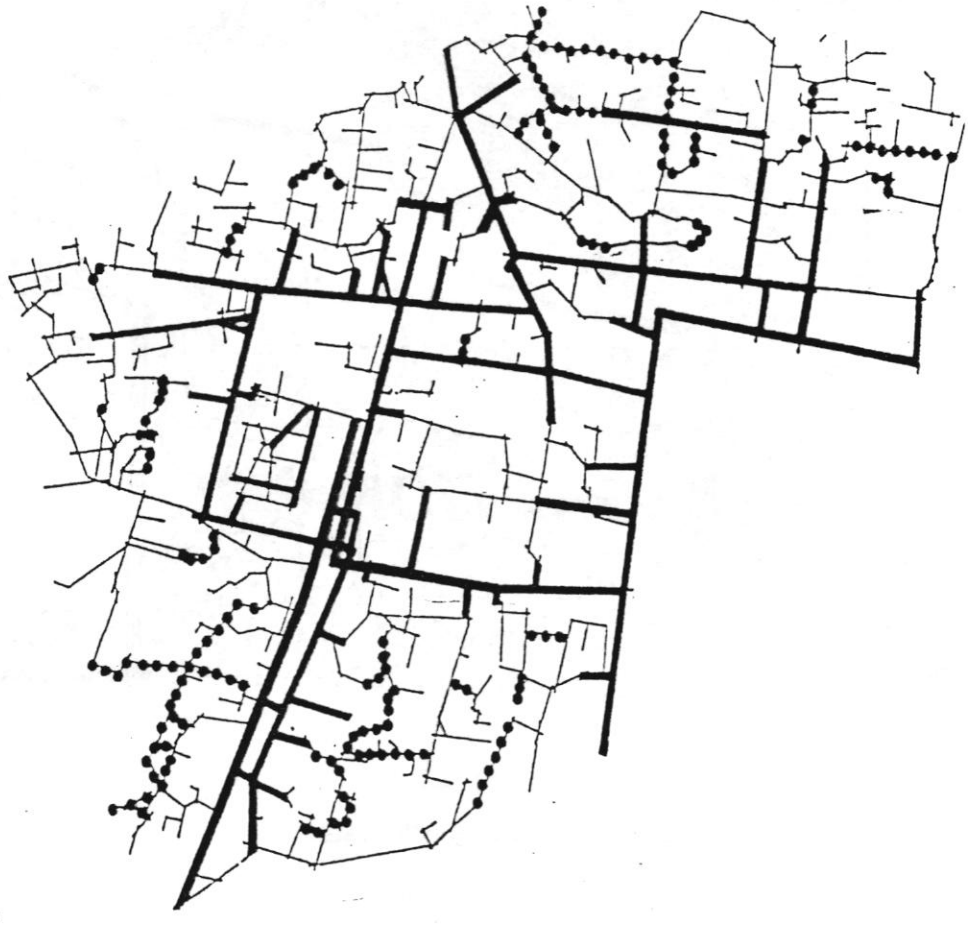

شكل (٨)

نواة التكامل ونواة العزل لمدينة القدس

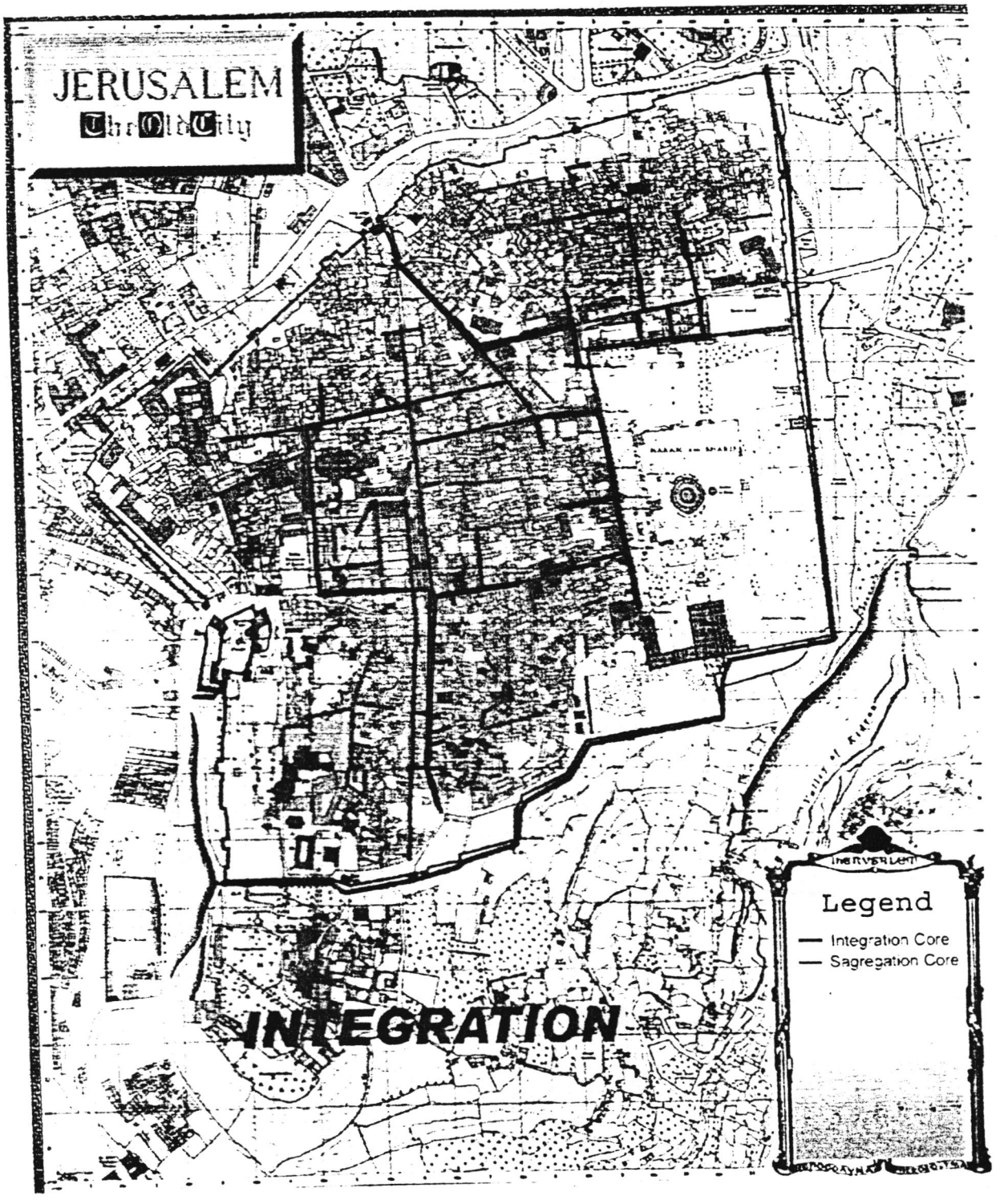

شكل (٩)

خاصية التكامل لمدينة القدس

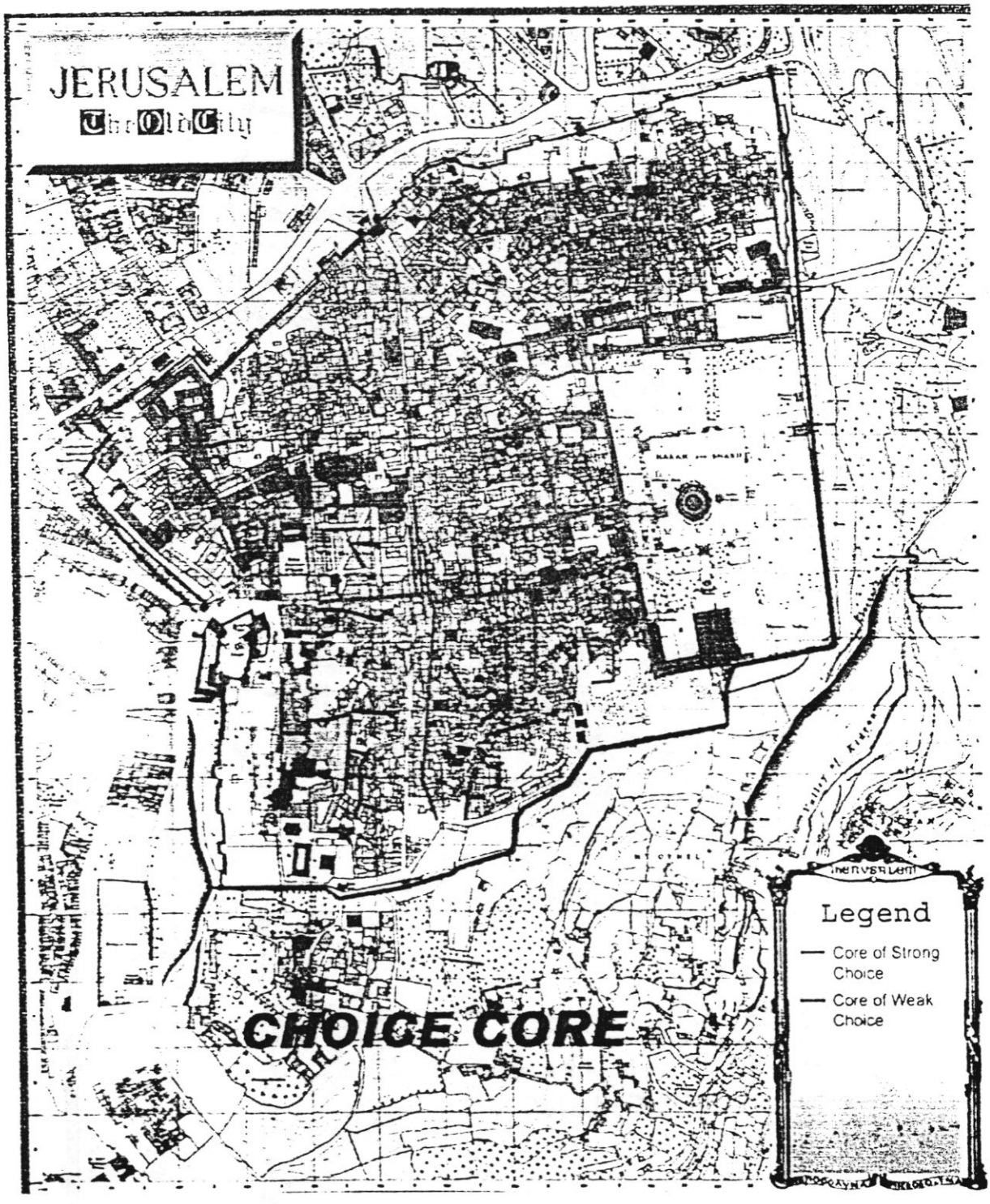

شكل (١٠)
خاصية الخيار

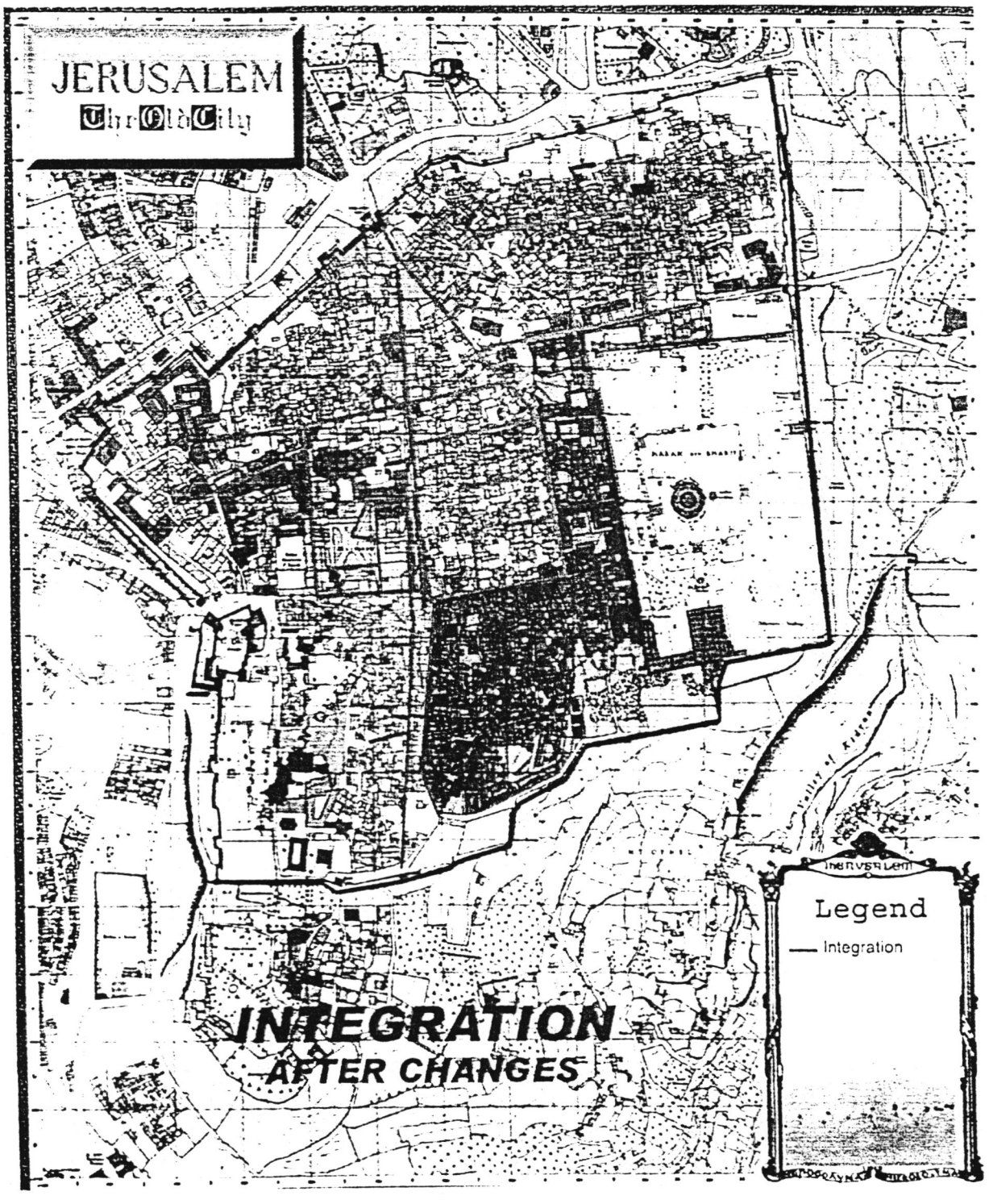

شكل (١١)

خاصية التكامل بعد التغيرات التي أجراها الأستيطان اليهودي